المحاضرة الأولى: دراسة لرواية البطاقة السِّحرية لمحمَّد ساري.

تتمَّة لدراسة "البطاقة السِّحرية" لمحمَّد ساري، وبعد أن حلَّلنا عتبة المتن الرِّوائي في المحاضرة السَّابقة، نحاول استكمال الدِّراسة.

المتن الرِّوائي ينهل من المعين التَّاريخي ليصوِّر راهنا عاشه المجتمع الجزائري ومنه تشكَّلت العلاقات الانسانية بين أفراده، كما يرصد علاقة صراعية قديمة تتجدَّد بين شخصية مصطفى عمروش المجاهد الثَّوري الذي يشهد له الجميع بهذه الفضيلة، التي تلبسه كلَّ أوسمة الشَّرف والبطولة، والذي يجد نفسه بعد انتهاء الثَّورة بالانتصار، يعيش حياة العوز والفقر، بل والتَّهميش، فلا يستفيد من الغنيمة التي اقتنصها البعض.

وشخصية أحمد تكوش الذي كان يعجبه لقب السَّرجان، لأنَّه يذكِّره بأيَّامه في خدمة الجيش الفرنسي –السَّرجان– طمع بعد الثَّورة في الحصول على بطاقة المجاهد، فجاهد للوصول إليها دون كلل أو ملل، وهو يراها تفتح له المستغلقات وتغمره بالامتيازات، وعندما يحتدم الصِّراع بين الشَّخصيتين، تطفو أحداث كثيرة ماضية، وتظهر أخرى جديدة، لينتهي هذا الاحتقان إلى تصفية السَّرجان، وهي النِّهاية الحتمية التي يستحقُّها في نظر مصطفى عمروش.

المتن الرِّوائي "البطاقة السِّحرية"، كتب سنة 1987م ولكن لم ينشر حتَّى 1993م، لأنَّه تجاهل التَّوثيق التَّاريخي، وراح يركِّز على انشغالات المجتمع بكلِّ فئاته أو بمجموعها مع إثارة فكرة التَّصادم بين المجاهدين أثناء الثَّورة وبعدها.

تظهر شخصيات المتن الرِّوائي وهي تعتنق مبادئ مختلفة ومتخالفة.

أحمد تركوش (السَّرجان) تظهر أنانيته في الشِّعار الذي يرفعه دائما "اللِّي ما ينفع ادفع" 12 استطاع أن يكوِّن ثروة طائلة أثناء التَّواجد الاستعماري بحكم علاقاته مع الجيش الفرنسي، حتَّى أنَّه كان سببا في قتل الشَّهيد (السِّي السَّعيد) بعد الثَّورة، تضاعفت ثروته بعد أن اشترى ممتلكات المعمِّرين قبل مغادرتهم القرية، وبعد مرور 25 سنة من عمر الاستقلال، عنَّ له أن يستفيد من بطاقة المجاهد، فقصد أمين قسمة الحزب ليسهِّل له ذلك محاولا أن يرشيه بالمال "أنا مستعدٌّ للدَّفع، أطلب ما تريده وسأحضره لك في الحين 14 ولأنَّ محاولاته باءت كلُّها بالفشل، راح يَجْهَرُ في كلِّ مكان بأنَّه سيحصل على هذه البطاقة مهما كانت التَّكلفة" "سآخذ البطاقة بالمليح أو القبيح".19 "سنرى من هو الأقوى، سأتَّصل بأصدقائي المجاهدين الحقيقين في العاصمة".19 ويتَّصل فعلا بأحد أصدقائه في العاصمة بومالح عبد المالك، ويتحجَّج بأنَّه يريد هذه البطاقة "لأنَّ ابنته في الجامعة تهان وتُعَيَّرُ وتشتم بأنَّها ابنة حركي".56

ويتعسَّر عليه الحصول على البطاقة فيدخل في مرحلة جَلْد الذَّات "لماذا لم ألتحق بالثَّورة في حينها لكنت اليوم وزيرا أو ضابطا ساميا، أحلُّ وأربط، آه لو كنت لما فاتتني الفرصة، أريد أن آكل نفسي من النَّدم حينما أتذكَّر".133

إحساس كثيرا ما ولَّد بداخله ارتباك، أوهمه بأنَّه هو أيضا مجاهد "كلُّنا ساعدنا الثَّورة، المجاهدون كانوا يتردَّدون على داري، ونجلس اللَّيالي الطِّوال، نتحدَّث في أمور تخصُّ استقلال البلاد، كنَّا نخطِّط إلى ما بعد الثَّورة".19

شخصية بومالح عبد المالك:

كان مجاهدا أثناء الثَّورة، بعد الاستقلال تحوَّل إلى مهرِّب، يسرق المؤونة الغذائية التي كانت مخصَّصة للفقراء، من دقيق وزيت وغيرها، ويستعين بالسَّرجان لتسويقها لا يتردَّد في القيام بأيِّ عمل مهما كان ضرره، يقول للسَّرجان وهو يراه يجري وراء بطاقة المجاهد "سأحضر لك شاهدين هنا في البيت ويمضيان بالرَّحب والسُّرور، ونملأ الملف مثلما يحلو لنا وستصلك البطاقة.56

يتبجَّج بأنَّه استفاد من رخصة لاستيراد السَّيارات من وزارة المجاهدين مرَّتين، وهذا دون أن يدفع ضريبة الجمركة، ناهيك عن البضائع المتنوِّعة التي كانت معبَّأة بها السَّيارة (جهاز الفيديو والزَّرابي وقطع الغبار والملابس والموز). 125

شخصية مصطفى عمروش:

المجاهد الشَّريف الذي لم يقايض بعد الاستقلال ليأخذ ثمن مشاركته في الثَّورة، ولم يأبه للامتيازات أو المناصب، وعلى الرُّغم من الاغراءات لم يحد عن مبادئه، ممَّا جعله محلَّ احترام وتقدير جميع أهل القرية، يعيش مع ماضيه الحزين المتمكِّن منه، لا يقوى على نسيان الأحداث المؤلمة التي عاشها زمن الثَّورة، يتذكَّر المجاهدين الذين قتلوا أمام عينيه، يزورونه في أحلامه وإن مسَّ في شرفه لا يمكن أن يغضَّ طرفه ويسامح عندما تناهى إليه أنَّ الحركي يلوِّك سيرة زوجته المرحومة بالقبح، لم يجبن حمل بندقيَّته التي جاهد بها وأرداه ميِّتا، فقد كان يؤمن شديد الإيمان بأنَّ الخونة والحركى يجب القضاء عليهم في كلِّ مكان، وأنَّ قتلهم نضال وعبادة، وينتهي به الأمر إلى السِّجن، ولكن بعد أن يكون قد اقتصَّ من أحد الخونة.

شخصية جمال ابن مصطفى عمروش، وشفيقة ابنة السَّارجان تموت قصَّة حبِّهما بعد حادثة القتل وربَّما يورِّث الصِّراع إلى الأبناء وتظلُّ النَّار مستعرة لا تريد أن تخمد.

الرَّاوي:

يتجسَّد في صورتين: الأولى غفل عندما استخدم ضمير الغائب في حديثه عن الماضي، والثَّانية ظهر علينا ينطقه ضمير أنا وهو يغوص في الرَّاهن بكلِّ مناقضاته وانتكاساته.

النِّهاية:

هل يمكن أن نضع نهاية أخرى لهذا المتن الرِّوائي ؟

تبدو النِّهاية المقترحة من لدن الرِّوائي منطقية، جاءت نتيجة طبيعة لأحداث النَّصِّ المتنامية والمتشنِّجة والتي وصلت أزمتها إلى درجة لا تقبل إلَّا هذا الانفراج.

الإحالات:

1. محمَّد ساري، البطاقة السِّحرية، منشورات التَّبيين الجاحظية، 2000م.
2. الرِّواية، ص 14.
3. الرِّواية، ص 19.
4. الرِّواية، 19.
5. الرِّواية، ص 56.
6. الرِّواية، ص 133.

7. الرِّواية، ص 19.
8. الرِّواية، ص 56.
9. الرِّواية، ص 125.

المحاضرة الثَّانية: رواية الأزمة سيِّدة المقام للأعرج واسيني.

ماهية أدب الأزمة:

أدب الأزمة أو الأدب الاستعجالي هو الأدب الذي يؤرِّخ لأحرج اللَّحظات في حياة الأمم والشُّعوب، هو أدب يستنطق لحظة الفاجعة المؤلمة، محاولا فهم أسبابها ومجتهدا في تفسير مآلاتها وأبعادها الآنية والمقبلة:

أدب الأزمة قد يفسِّر بالأدب الاستعجالي، وهذا اللَّون عرفه الأدب منذ عصوره الأولى، فعنترة بن شدَّاد الذي عاش العصر الجاهلي كتب أدبا استعجاليا، والأمر نفسه مع عمرو بن كلثوم والمتنبِّي الذي أرَّخ لانتصارات سيف الدَّولة الحمداني وفيركور الرِّوائي الفرنسي صاحب رواية "بحر الصَّمت" 1942م، الذي حاول من خلالها رصَّ صفوف المقاومة لدحر الجيش النَّازي، أمَّا أدب الأزمة في الإبداع الجزائري خاصَّة الرِّوائي منه، فقد سجَّل أحداث الفترة العصيبة التي مرَّت بها الجزائر زمن التِّسعينيات والتي سمِّيت بالعشرية السَّوداء أو الحمراء، الأزمة التي نمت وتعاظم عنفوان جبروتها المقيت، لتفرز مجازر دموية فظيعة وتشعل نارا أتت على الأخضر واليابس، واختارت وقودها من أفراد المجتمع كلِّه.

هذه الزَّمنية التَّاريخية، عمل وسعى الأدب الرِّوائي الجزائري للقبض عليها وتطويقها، مقيِّدا للحظات الخوف والفزع والموت والدَّمع والألم والتَّهجير من خلال مجموعة من الرِّوائيين، بشير مفتي في "المراسيم والجنائز"، ورشيد بوجدرة في "تيميمون" وَالأعرج واسيني في "سيِّدة المقام"، وغيرهم.

التَّعريف بالكاتب:

واسيني الأعرج قاصٌّ روائي وأكاديمي جزائري، من مواليد منطقة تلمسان سنة 1954م، من مؤلَّفاته: "شرفات بحر الشَّمال"، "البيت الأندلسي"، "العجر يحبوُّن أيضا"، وَ "سيِّدة المقام" موضوع دراستنا هاته.

الرِّواية:

"سيِّدة المقام" (مراثي الجمعة الحزينة) كتبها الواسيني الأعرج سنة 1991م، وتأخَّر نشرها إلى سنة 1995م، أي بعد 04 سنوات كاملة.

الرِّواية صدرت أوَّل مرَّة بعنوان: "سيِّدة المقام" (مراثي اليوم الحزين)، ليتغيَّر في الطَّبعة الموالية ويصبح "سيِّدة المقام" (مراثي الجمعة الحزينة)، الرِّواية تعرَّضت للمصادرة سنة 2000م من قبل الرَّقابة المصرية، أي بعد صدورها ب 05 سنوات.

المتن الرِّوائي يتحدَّث عن بداية زمن الأزمة في البلاد نهاية الثَّمانينات، وكيف تعرَّض كلُّ شيء جميل في الحياة للابادة وكيف نجح الانكسار في اضطهاد النُّفوس وتخريب المثل والمبادئ وطمس معالم البلاد التي ألَّفها الجزائري.

الرِّواية تعرض لقصَّة راقصة باليه (مريم) التي تصاب برصاصة في رأسها وتصرُّ على الرُّغم من ذلك على تأدية الرَّقصة الأخيرة، لتموت بعدها ويلحق بها صديقها الأستاذ منتحرا، لأنَّه لم يستطع الوصول إلى مفتاح التَّغيير والنَّجاة، الرِّواية تمتدُّ على مدار يوم واحد من الزَّمن، أمَّا باقي الأحداث فهي استرجاع للماضي.

عنوان الرِّواية:

جاء العنوان مركَّبا من شقَّين: أحدهما أصلي والآخر فرعي أو ثانوي: "سيِّدة المقام" الجزء الأصلي، لفظة سيِّدة مثقلة بمعاني الفوقية، كالهيمنة والسُّلطة والامتلاك والتَّحكُّم والرِّفعة والحرية والمسؤولية، ولن نخرج عن هذا الفحوى إن نحن أشرنا إلى فاطمة سيِّدة أهل الجنَّة، وخديجة سيِّدة نساء العالمين، والسَّيِّدة العذراء مريم، ثمَّ يأتي المقام الذي يوحي بموضع القدمين وموضع الإقامة، وربَّما بالمقام الموسيقي الذي هو مجموعة من النَّغمات الصَّوتية، الجملة جاءت اسمية من مضاف ومضاف إليه.

العنوان الفرعي أو الثَّانوي: "مراثي الجمعة الحزينة"، فمراثي جمع رثاء وهو البكاء على الميِّت وإظهار الحزن والأسى عليه وتعداد مناقبه حيا الجمعة يوم له قداسته عند المسلمين، يجتمعون لتأدية الصَّلاة جماعة، وهو يوم عيد بالنِّسبة إليهم، ويوم الجمع هو يوم القيامة، وجاء الألم والحزن متأرجحان في زمنيَّة الجمعة.

المتن الرِّوائي جاء مقسَّما إلى 11 قسما، منها ظلال المدينة، فتنة بربرية، حنين الطُّفولة، محنة الاغتصاب وغيرها.

الشَّخصيات:

جاءت شخصيات المتن الرِّوائي كثيرة ومتصارعة فكريا.

شخصية مريم راقصة البالية:

كانت تقضي معظم وقتها في بيت معلِّمة الرَّقص الرُّوسية التي كانت تشرف على تكوينها، تقول عنها أعطتني من الحب أكثر ممَّا أعطتني أمِّي. 93

دائمة السُّؤال عن حقيقة أبيها، عندما عرضت أمُّها عليها الزَّواج من ابن الجيران، وجدتها فرصة سانحة للخروج من جوِّ البؤس والكآبة والكره المخيَّم على البيت، وعندما يتمُّ الزِّفاف تندم على قرار القبول، تقول عنها إحدى صديقاتها واصفة طبيعتها المزاجية: تحبُّ وتكره في لحظة. 61

كرهت زوجها وبدأ الصِّراع بينهما واشتدَّ ووصل إلى خلافات شديدة وشجارات أسمعها كلَّ الشَّتائم البذيئة طاعنا في أخلاقها واصفا إيَّاها بالدَّاعرة 110 وفي إحدى اللَّيالي احتدم الأمر بينهما نزل بيده الثَّقيلة على خدِّها، ثمَّ أخذها من شعرها وضرب رأسها على الحائط ليغتصبها بعد ذلك بحكم الزَّواج وهي التي ظلَّت تتمنَّع عليه.110

(محنة الاغتصاب) وبعد هذه الحادثة تحمل حاجياتها وتعود إلى البيت، ليعود السُّؤال الذي طالما طرحته يراودها ابنة من هي. 253

مريم كانت جريئة مقبلة على الحياة لتنتهي ميِّتة برصاصة في الرَّأس.

شخصية المتشدِّق بالدِّين:

الرِّوائي حرمه من الاسم ليظلَّ نكرة، يدخل إحدى الحانات وعندما يجد امرأة هناك يبدأ بالبسملة والحوقلة، ويتوجَّه إليها مستفسرا عن سبب مجيئها إلى هذا المكان الفاسق، ويخاطبها بغضب أخرجي الله يهديك للطَّريق الصَّحيح. 26

وعندما تجيبه بأنَّه لا شأن له بها يلعنها ويهدِّدها بنزع رقبتها مثل الدَّجاجة28 وعندما بالغت في مناقشته ردَّ عليها عظام جهنَّم صوتك عورة صورتك غواية. 31

شخصية الفتاة المنتمية إلى الجماعات الدَّموية:

كانت تلبس لباسا فضفاضا طويلا، يسحب كلَّ أتربة الشَّوارع والأزقَّة، تقول دائما كلُّ هذه الأتربة تلتصق باللِّباس هي نعمة من الله، توزن في الدَّار الآخرة ويجازى صاحبها ذهبا. 229

تتحدَّث باسم الجماعة التي تنتمي إليها، أنشأنا محكمة تعقد لإعدام الذين ارتدُّوا أو خرجوا عن تعاليم الدِّين إمَّا بالقتل أو بنسف داره أو اختطاف أبنائه وأهله. 230

نختار لهذه المهام شبَّانا في سن 18 أو 20-230 وعندما سئلت لماذا تقتلون، قالت هؤلاء أعداء الله الملحدون العقلانيون اللَّائكيُّون وأصحاب دعوات تحرير المرأة الجمعيات النِّسوية230؛ حيث لا يبقى إلَّا الاتقياء الخيِّرون من أنباء هذه الأمَّة231 والتي هي منهم بطبيعة الحال، بالإضافة إلى شخصية الأستاذ الذي ربطته بمريم علاقة حب كبير والذي كان يشدُّ من عزمها ويشجِّعها، وبعد وفاة مريم اختار لنفسه الانتحار ليلحق بها.

شخصية الأم:

زوجة الشَّهيد التي تزوَّجت بأخيه وعاشت معه في تناحر دائم وخصام لا يتوقَّف.

شخصية العم عبَّاس:

تزوَّج بأرملة أخيه وهو لا يعرف بأنَّها حامل من أخيه بعدما تكوَّنت لديه عقدة ذنب عاشت معه إلى أن انتهى إلى الجنون. 249

شخصية محمود الحقوقي:

دائم الشَّكوى من سوء حظِّه والبؤس وقلَّة السَّعد 102، تزوَّج بمريم راقصة الباليه وعندما وقع الطَّلاق بينهما دخل في حالة اكتئاب، ثمَّ ذهب ينتمي إلى الجماعات الدَّموية ويهدِّد طليقته بالقتل ويتبعها في كلِّ مكان.114

شخصية إمام القرية:

كان لا يترك فرصة إلَّا ويتحرَّش فيها بالأطفال الذين يفترض أن يعلِّمهم كتاب الله. ص 28-29

شخصية الإمام الذي يكوِّن الدَّمويين:

كان يجمع الشَّباب ويصلِّي بهم صلاة الفجر، ويختار آيات القتال ثمَّ يصرخ فيهم، هل أنتم على استعداد للشَّهادة ؟ فيجيبون: نعم، فيردُّ عليهم موعدنا الجنَّة، يخرجون وفي عزمهم شيء واحد القتل والنَّسف. 230

شخصية العم موح الصياد:

الذي كان يعقد آمالا وأحلاما على ابنته التي اختارت دراسة الحقوق، ولكنَّها خذلته بعد أن أتزوَّجت بتاجر سلاح، فانتهى منتحرا + شخصية معلِّمة الباليه الرُّوسية + شخصية مدير معهد الفنون الجميلة.

المتن الرِّوائي يعجُّ بالشَّخصيات المتناقضة والمتصادمة فكريا.

الحوار: جاء الحوار على لسان الشَّخصيات جلَّه بالعامية الجزائرية.

خطاب مريم لزوجها: سألقي بنفسي من هذا الشُّبَّاك ورأس يما العزيزة نديرها ونباصيك. 112

حوار الأم مع زوجها: اسمع يا ذاك الرَّجل الزِّين بنتي تسوى الذَّهب أخلي بارودك إذا حبيت در واش تحبْ ما عندي صلاح فيك. 94

العم العبَّاس دخل البيت ذات اليوم وبدأ يحرم: ما كانش المايدة، ما كانش المغارف، الفراشيط، التِّلفزيون، الصَّحابة كانوا يأكلون على الحصائر ويمشون حفاة عراة. 95

محمود في المحكمة وهو يقاضي مريم بتهمة السَّرقة، قال للقاضي عظام جهنَّم هذه زانية تستاهل الرَّجم، أنت تعرف بلِّي رقَّاصة. 120

الإحالات:

1. الأعرج واسيني، سيِّدة المقام، منشورات الفضاء الحر، 2001م.
2. الرِّواية، ص 61.
3. الرِّواية، ص 110.
4. الرِّواية، ص 110.
5. الرِّواية، ص 253.
6. الرِّواية، ص 26.
7. الرِّواية، ص 28.
8. الرِّواية، ص 229.
9. الرِّواية، ص 230.
10. الرِّواية، ص 230.
11. الرِّواية، ص 230.
12. الرِّواية، ص 231.
13. الرِّواية، ص 249.
14. الرِّواية، ص 102.
15. الرِّواية، ص 119.
16. الرِّواية، ص 28-29.
17. الرِّواية، ص 230.
18. الرِّواية، ص 112.

19. الرِّواية، ص 94.

20. الرِّواية، ص 95.

21. الرِّواية، ص 120.